

شاهد على التاريخ

المنزل القرميدي شاهد وحيد على جبل في القرن الـ19

اكتشفت قبل الوصول إلى «حي ما قبل التاريخ» الذي يقبع البناء في وسطه. وتبقى الأبنية أن يجري تأهيل هذا البيت، فيصار إلى إزالة شجرة النخيل التي أوقعتها الرياح، وإلى إعادة استعماله بطريقة تنسجم مع الموقع الأثري، بحيث لا يبقى شاهداً «ميتاً» على فترة مضت، بل يصبح عنواناً مقصوداً، وخصوصاً أنه أصبح اليوم معلماً من معالم المدينة التي، ولحسن الحظ، لم يصح قول موريس دونان عنها: «بعد عشرين سنة من موتي، لن يبقى شيء في جبل».

سابقاً أن منقّب موقع جبل الأثري، العالم الفرنسي موريس دونان، سكن في هذا المنزل، لكن النقيب السابق للأدلاء السياحيين في لبنان، يزيد محفوظ، يوضح «أن دونان لم يسكن هذا المنزل، بل منزلاً آخر في المدينة قرب القلعة، وقد أصبح مكتب المديرية العامة للأثار في جبل».

وهدمها إفساحاً في المجال أمام علم الأثار لاكتشاف هذه المدينة التي تعدّ من أول مراكز الاستيطان في العالم. وهذا ما حدث بالتحديد: أزيلت بيوت المدينة ولم يبق منها إلا هذا المنزل القرميدي الذي شيدته عائلة الحسامي، وتحديداً مصباح وعثمان الحسامي في نهاية القرن التاسع عشر.

ويعدّ هذا البيت الشاهد الوحيد الباقى من مدينة جبيل في القرنين الماضيين، عندما كانت بيوت المدينة تغطي الموقع الأثري بكامله. فمع بدء التنقيبات الأثرية في المدينة، ظهرت معالم المدينة القديمة، وقررت السلطات استملاك البيوت



تحقيق

معبد حردين المهدم: من السرقات إلى أعمدة الإرسال

تحوّل معبد الإله مرقوروس في أعالي قرية حردين، الواقعة في جرود البترون، إلى مركز إرسال، بعد أن بنت محطات التلفزة أعمدتها داخل حرمة وشوّهته



معبد الإله مرقوروس بين قلة تميّزت بطرازها الأيوني



بعض الحجارة المبعثرة ويبدو عمود إرسال إحدى المحطات

زينة خليل

بعد ما يقارب ساعة من السير المتعرج في مسالك وعرة، ومحاذرة السقوط في أكثر من هاوية سحيقة، يصل زوّار معبد حردين إليه. هناك، يطالعهم رجل ملتح منتصب القامة، إلى جانب أعمدة لم يبق منها سوى القليل، وتمثّل أطالاً لما كان في غابر الزمان معبداً رومانياً يُعدّ من الأجمل في لبنان.

للوهلة الأولى، يظن الزائر أن هذا الرجل هو حارس المكان، لكنه سرعان ما يفاجأ به حارساً لهوائيات إحدى المؤسسات الإعلامية المرئية والمسموعة، المنتصب أعمدتها في هذا المكان المرتفع الذي يمثل نقطة مهمة للبحث التلفزيوني والإذاعي. وترتفع أعمدة الإرسال الضخمة تلك داخل حرم المعبد الروماني، مدمرة قسماً من الأثار الدفينة في أرضه، ومشوّهة الموقع الأثري بشكل فادح.

وهذا ليس الاعتداء الأول الذي يتعرض له الموقع. فأحجار المعبد مبعثرة، والحفر التي خلفها سارقت الأثار أزالته تقريباً شكله الهندسي، ذلك أن هذا المعبد، الذي بُني على علو 1300 متر عن سطح البحر وبقي معزولاً عن السكان، كان خلال سني الحرب الأهلية هدفاً للباحثين عن «الثروات الدفينة». فبدأوا هم بتدميره وإزالة معالمه، ثم أتت المحطات التلفزيونية لتكتمل ما بدأوه.

تقع حردين في جرود بلاد البترون في محافظة لبنان الشمالي، وتطل على الساحل اللبناني. السوري، ما جعل منها مكاناً مهماً للتحصن والصلاة أثناء سيادة الفترة الرومانية على «بلاد الشام». وقد شيد الإمبراطور الروماني أدريانوس أوغوستوس (117-138م)

على قمة الجبل معبداً رومانياً ضخماً للإله التجارة مرقوروس (Mercury)، وزخرفه بثلاثين عموداً من الطراز الأيوني، والطراز الأيوني هو نمط من البناء ظهر في الفترة اليونانية - الرومانية، يتميز بأعمدته المتناسقة وبتيجان أعمدتها حلزونية. وتندر في لبنان المعابد المبنية على هذا الطراز الهندسي، ولكن لم يبق اليوم من أعمدة معبد مرقوروس الغارق في التاريخ، سوى قواعدها وبعض من تيجانها المتناثرة وحجارة مصقولة. حتى أن بناء المعبد قد تهدم بفعل الزمن والعوامل الطبيعية والنهب، فتحوّل أطالاً مؤلفة من قواعد حجرية ومجموعة كبيرة من حجارة مصقولة كانت تؤلف جدرانه.

تجدر الإشارة إلى أن وضع المعبد لم يكن دوماً مزيماً إلى هذه الدرجة. ففي سنة 1964، استلمت المديرية العامة للأثار الموقع الأثري، وبدأت عملية ترميمه وتأهيله ليصبح موقعاً سياحياً. وقال عنه المهندس المسؤول عن المشروع هاروتين كلايان: «المعبد في حردين مثال فريد في طريقة بنائه على النمط الأيوني، إذ إنه من المعابد النادرة في لبنان التي بنيت بحسب هذا الفن المعماري... إنه واحد من أعظم معابد لبنان وأهمها، إنه معبد رائع حقاً».

وبعدما بدأت «ورشلة» الترميم، التي جرى خلالها إعادة بناء أعمدة مدخل المعبد، عثر المنقبون داخل حرمة على تمثال صخري لرجل منتصب القامة يمسك بعضاً طويلاً، وعلى لوحة حفرتها عليها الأحرف الثلاثة الأولى لاسم الإله مرقوروس، فتقرر حينها أن التمثال يرمز لهذا الإله الذي شيد المعبد على اسمه. وفي الجهة الشرقية من المعبد، ينتصب المذبح الذي يتوسط الصحن، وهو مُشيد ببلاط رخامي يقوم على أربع قواعد حجرية مصقولة. أما المذبح، فهو ذو شكل هندسي مربع، لم يبق منه سوى بعض المداميك السفلية ذات الحجارة الضخمة المبعثرة في أرجائه، بعد أن جرف باطن أرضه السارقون. والموقع مدمر إلى درجة يصعب معها معرفة شكله الهندسي، هذا بالإضافة إلى أن للزيارة متطلبات أمنية خاصة بها. فحراس أعمدة الإرسال «يشرفون» على الزيارة، ويمنعون التقاط الصور خوفاً على أنفسهم من الأعمال «الإرهابية»... ويبقى السؤال: من يحمي ما «بقي» من الأثار في حردين؟ ولماذا تبقى المواقع الأثرية في المناطق مهمة ومنسية إلى هذه الدرجة؟

حردين

في التاريخ

ورد اسم حردين أو مشتقات منها منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد. فعلى لوحات الحثيين ذكرت «حردونا». أما في اللغة العربية، فقد ذكرت كلمة «حردو» على هامش أحد الكتب المقدسة التي يعود تاريخها إلى عام 1245 ميلادي، وهي تعني «الخائفون على الإيمان». والجدير بالذكر أن قرية حردين مزينة بقوس من التلال منتصب كالجدار، تغطيها غابة من الأشجار تبدو معها هذه البلدة الوادعة كأنها روضة غناء تنبعت من أنسامها نسيما تشفي العليل.

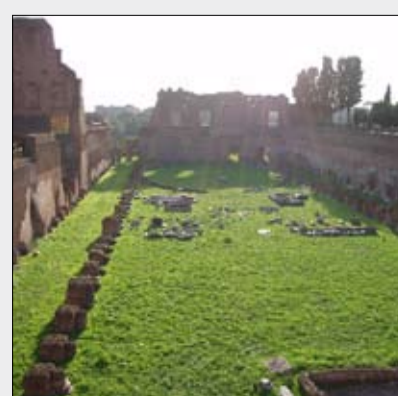
اكتشافات

في إيطاليا الاكتشافات الأثرية رهن بالسياسة الداخلية

يعلن عنه أبدأ «لإعطاء العلماء الوقت الكافي لإنهاء عملية الترميم»، كما أكد عمدة روما. رغم ذلك، يبقى «توقيت» إعلان الاكتشاف مستغرباً جداً، إذ يأتي برودي أزمة شعبية كبيرة، وفي فترة يطرح عمدة روما نفسه مرشحاً لرئاسة الحكومة المقبلة؛ والمعروف عن هذا الأخير أنه يعمل منذ أكثر من عقد على تكريس صورته كمنقذ لآثار روما وواعم مشاريع المحافظة على تراثها القديم، ويبدو أن هذه الصورة محببة لدى قلوب الإيطاليين.

خبير الاكتشاف كان لأهداف سياسية بحتة من أجل محاربته. حينها، لم يُعط لهذا التحليل أي صدقية. لكن يبدو اليوم أن برلسكوني كان محقاً. فخلال فترة الأعياد، أعلن عمدة روما ووزير الثقافة عن «اكتشاف» جداريات رائعة الجمال وفريدة من نوعها في أربع من غرف قصر الإمبراطور أغسطس الواقع على تلة البالاتين داخل روما. ودعت وسائل الإعلام إلى القاعات لتصوير الجداريات المرممة، إذ إن الاكتشاف يعود إلى أكثر من سنة، ولكن لم

في إيطاليا تأخذ الاكتشافات الأثرية حيزاً مهماً جداً في الإعلام، بحيث يتصدّر الخبر الصفحات الأولى للجراند، وقد يطغى على السياسة، وهذا ما دفع علماء الآثار إلى استغلال خبر الاكتشافات لمعاقبة السياسيين أو الترويج لهم. فخلال عام 2005، اكتشفت المغارة التي حضنت، بحسب الأسطورة، طفلين، في أحد أروقة قصر البالاتين الواقع في وسط روما. فاعلن العلماء عن الاكتشاف الذي غطى حينها على إعلان رئيس الوزراء السابق برلسكوني نيته تأسيس حزب جديد، ورأى الأخير أن توقيت



مدينة غارقة في قعر بحيرة «إيسي كول»

عثر فريق البعثة الروسية - القرميزية على آثار مدينة غارقة تعود إلى عام قبل الميلاد في قعر بحيرة «إيسي كول» الواقعة في جبال دولة قرميزستان. وكان الفريق العلمي الروسي القرميزي، المؤلف من علماء آثار ومؤرخين ومحترفي الغطس في المياه الحلوة، قد بدأ عمليات البحث عن هذه المدينة قبل 7 سنوات. وأظهرت الدراسات آثار المدينة

الغارقة التي تمتد عدة كيلومترات، والتي كان يحيط بها جدار. وقد عثر العلماء على جزء من هذا الجدار يزيد طوله على 500 متر، وعلى مقابر وأدوات حربية مصنوعة من البرونز وحلي مطلية بالذهب تظهر تقدم شعوب تلك الحضارة، وهذا ما دفعهم إلى الاستنتاج أن تلك المدينة كانت مركزاً مهماً قبل أن تغرق بسبب فيضان محلي.